المناضل-ة

Almounadil-a

جريدة عمالية-نسوية-شبيبية-أممية(Morocco)

تحرر الكادحين من صنع الكادحين أنفسهم

ملف:
اغتيال فرحات حشاد؛ من تاريخ الطبقة العاملة المغربية

- 7 و 8 ديسمبر 1952 يومان مشهودان في تاريخ الطبقة العاملة المغربية
- فرحات حشاد: (من قاموس لوميترون Le Maitron لأعلام الحركة العمالية و الحركة الاجتماعية)
- أحداث الدار البيضاء يومي 7 و 8 ديسمبر 1952. بقلم؛ ألبير عياش
- وثيقة الحزب الشيوعي المغربي بصدد أحداث 7 و 8 ديسمبر 1952؛ ترجمة : جريدة المناضل-ة

جريدة المناضل-ة؛ دجنبر 2025

7 و 8 ديسمبر 1952 يومان مشهودان في تاريخ الطبقة العاملة المغربية – ملف . جزء أول

تقديم: ماذا يعلم شغيلة اليوم الشباب عن تاريخ طبقتهم، تنظيماتها النقابية و السياسة، كفاحاتها من أجل مصلحتها الطبقية، ومشاركتها في النضال الوطني ضد الاستعمار؟

بعد 73 سنة من اضراب 8 ديسمبر 1952 الذي خاضه شغيلة المغرب تضامنا مع الشعب التونسي على إثر اغتيال القائد النقابي فرحات حشاد، نكاد لا نسمع سوى أصداء باهتة يرددها هذا الجهاز النقابي او ذاك، في ظل حالة التثقيف النضالي المؤسسية التي تسود الحركة النقابية. حالة التقوقع في الهم المهني، والنزوع الفئوي، الذي يبعد عن الوعي العمالي كل منظور طبقي شامل، منه الرؤية السياسية التي تضع الطبقة العاملة في صلب الكفاح من اجل التحرر من الاستعمار، قديمه وجديده.

مواصلة لجهود التثقيف العمالي، تنشر جريدة المناضل-ة ملفا عن اللحظة التاريخية التي مثلها 7 و 8 ديسمبر 1952، نتعرف فيه في جزئه الأول التالي على مسار حياة فرحات حشاد، ومجريات يومي 7 و 8 ديسمبر في عاصمة البروليتاريا المغربية، الدار البيضاء، كما أوردها فقيد التأريخ العمالي البير عياش. ثم نطلع على وثيقة لحزب الطبقة العاملة المغربية آنذاك، الحزب الشيوعي المغربي، أصدرها مباشرة بعد اليومين التاريخيين.

حشاد في احدى محاضراته النقابية.

فرحات حشاد
(من قاموس لوميترون Le Maitron لأعلام الحركة العمالية و الحركة الاجتماعية)

ولد في 2 فبراير 1914 في العباسية (كركنة، تونس)، اغتيل في 5 دجنبر 1952 بالقرب من رادس؛ موظف في الشركة التونسية للنقل بالساحل (STTAS)؛ نقابي في الكونفدرالية العاملة للشغل CGT ، ثم مستقل، مؤسس الاتحاد العام التونسي للشغل UGTT، وأمينه العام (1946-1952)؛ وفقًا لبعض الشهادات، كان عضوًا في الحزب الاشتراكي الفرنسي (الفرع الفرنسي للأممية العمالية) لفترة من الوقت. مسلم تونسي، ابن صياد بحار. حصل فرحات حشاد على شهادة الدراسة الابتدائية في عام 1929 (مدرسة الكلابين الفرنسية العربية).

جرى، في عام 1930، توظيفه في سوسة موظفاً في "الشركة التونسية للنقل بالساحل (STTAS)" . انضم في عام 1936 إلى نقابة الكونفدرالية العاملة للشغل لموظفي، STTAS وتولى بعد ذلك بوقت قصير منصب أمين النقابة. وفي نهاية العام نفسه أو في بداية عام 1937، انتُخب أمينًا عامًا مساعدًا للنقابة المحلية في سوسة. ووفاءً لنقابته المركزية، ابتعد عن النقابة الثانية «جامعة عموم العملة التونسيين» CGTT المعروفة باسم Gnaoui)) التي تأسست في مارس 1937. انتُخب في مؤتمر أبريل 1938 عضواً في اللجنة التنفيذية للاتحاد العام. كان مناضلا سياسياً نشطاً للغاية، وحظي بدعم قادة النقابة المركزية في توليه مناصب وطنية، ولا سيما من قبل ألبرت بوزانكيه Albert Bouzanquet، أمينها العام، الذي ربطته به علاقة صداقة.

عرض فرحات حشاد في صحيفة Tunis-Socialiste مطالب نقابة عمال STTAS (عدد 2 يونيو 1938) وأفاد عن العقوبات والتهديدات التي تعرض لها من قبل الشركة لإجباره على التوقف عن أنشطته (عدد 11 نوفمبر 1938). يبدو أنه طُرد من STTAS في عام 1939 وشغل لعدة أشهر منصب سكرتير إداري (موظف مداوم) في إدارة الاتحاد الاقليمي في تونس.

بعد حل النقابات العمالية بمرسوم من حكومة فيشي في نونبر 1940، عاد فرحات حشاد إلى كركنة، واستعد لامتحان القبول في الأشغال العامة وتزوج. جرى تعيينه في صفاقس، وشارك بنشاط في إعادة تشكيل الاتحاد المحلي للنقابة في عام 1943 وأصبح أمينه. وكان مندوبًا في المؤتمر الثامن عشر للاتحاد الاقليمي في مارس 1944، جرى استبعاده من الهيئة الإدارية، مع العديد من "البوزانكيين/الإصلاحيين الاجتماعيين"، من قبل القيادة الشيوعية الجديدة التي أدت دوراً بارزاً في إعادة تشكيل النقابات في أعقاب دخول الحلفاء إلى العاصمة، حيث طردوا قوات المحور في مايو 1943.

تحدث فرحات حشاد مطولاً في المؤتمر دعما للقيادة الاشتراكية السابقة للاتحاد النقابي، وانتقد الشيوعيين على سلوكهم غير الديمقراطي والعصبوي. وعند عودته إلى صفاقس، بعد سلسلة من المقابلات التي اتسمت أحياناً بالحدة مع الشيوعيين وجزء من قيادة الاتحاد المحلي للنقابة، استقال من منصبه في مايو 1944 وغادر الاتحاد الاقليمي، مصطحبًا معه العديد

من النقابيين التونسيين.

وفقًا لبعض الشهادات، كان فرحات حشاد ينتمي في ذلك الوقت إلى فرع الحزب الاشتراكي الفرنسي في صفاقس. انطلاقا من اتحاد مستقل لعمال السكك الحديدية التونسية بقيادة مسعود علي سعد والذي كان يحظى بدعم الإقامة العامة والشرطة والإدارة العليا لشركة صفاقس قفصة، الذين كانوا يعتمدون على الانقسام النقابي من أجل إضعاف اتحاد الشبكات التابعة للاتحاد الاقليمي للكونفدرالية العامة للشغل والنضالات من أجل المطالب، كرس فرحات حشاد نفسه لإقامة نقابات مستقلة في جنوب تونس. وطلب وحصل على إجازة لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد. وفي خطابه في 4 نوفمبر 1944 أمام جمعية "النقابات المستقلة في جنوب تونس"، أوضح خلافه مع قادة الاتحاد الاقليمي وخلص إلى القول:

«ولكن ألا توجد حقًا وسيلة للحفاظ على العمل النقابي في صورته الحقيقية كحركة رئيسة ومستقلة، قادرة على العمل بحرية بعيدًا عن أي تأثير أو تدخل سياسي من أي نوع؟ ألا يمكن لجموع العمال في هذا البلد أن تنظم نفسها حقًا دون أن تصبح تلقائيًا لعبة أي حزب سياسي يدعي خدمة الطبقة العاملة بينما هو في الواقع يستخدمها؟"

بدعم نشط من مختلف مكونات الحركة الوطنية التونسية (الحزب الحر الدستوري الجديد والحركة الإسلامية للمسجد الكبير "جامع الزيتونة» المرتبطة بشكل أو بآخر بالحزب الحر الدستوري القديم)، كان فرحات حشاد المهندس الرئيس لتطوير النقابات المستقلة ثم لإنشاء الاتحاد العام للعمال التونسيين (UGTT) في يناير 1946، الذي انتُخب أمينًا عامًا له. ومنذ ذلك الحين، أصبح زعيمًا لا جدال فيه و ذو شعبية كبيرة.

حل الاتحاد العام التونسي للشغل (UGTT)، وهو اتحاد تونسي/إسلامي متجانس، مكان الاتحاد الاقليمي للكونفدرالية العامة للشغل تدريجياً، الذي أصبح، خلال مؤتمره الاستثنائي في 27 أكتوبر 1946، مستقلاً من حيث المبدأ عن الكونفدرالية العامة للشغل (CGT) مع شعار جديد، وهو الاتحاد النقابي للعمال التونسيين (USTT). أبدى فرحات حشاد استجابة أكبر من زملائه لمحاولات التوحيد التي بذلت في عام

1947 تحت رعاية الفيدرالية النقابية العالمية (FSM)، الذي تأخر كثيرًا في الرد بالإيجاب على طلب الانضمام الذي تقدمت به الاتحاد العام التونسي للشغل UGTT (الذي جرى تقديمه في عام 1946 وحصل عليه في عام 1949). باءت هذه المحاولات بالفشل. أدت تداعيات "انقسام العالم إلى معسكرين" على تونس والنقابات التونسية إلى انسحاب الاتحاد العام التونسي للشغل من الاتحاد العالمي للنقابات (3 يونيو 1950) ثم انضمامه إلى الاتحاد الدولي للنقابات الحرة (CISL) في مؤتمره الرابع في مارس 1951.

«هذا الخيار الذي اتخذته المنظمة الدولية للنقابات الحرة – كما قال فرحات حشاد لاحقاً – هو عمل دبلوماسي وسيكون من الخطأ أن ننسب إليه طابعاً أيديولوجياً. هذا لا يعني أننا نفضل النظام الرأسمالي على النظام الاشتراكي، بل يعني أننا ننتمي جغرافياً إلى المعسكر الغربي، سواء أعجبنا ذلك أم لا، ونحن التونسيون نعتقد أن زعيم هذا المعسكر، بضغوطه على فرنسا، يمكن أن يساعدنا في معركتنا من أجل استقلال بلدنا الصغير. «

لم يمنع هذا الخيار النقابات من العمل معاً في العديد من النضالات المطلبية. في شتنبر 1951، شارك فرحات حشاد مع الحبيب بورقيبة، زعيم الحزب الحر الدستوري الجديد، في المؤتمر السبعين للاتحاد الأمريكي للعمل (AFL) في سان فرانسيسكو.

بعد اعتقال قادة الحزب الحر الدستوري الجديد والحزب الشيوعي التونسي في 18 يناير 1952، كان لفرحات حشاد دور بارز في قيادة المظاهرات المؤيدة للاستقلال الداخلي، وكشف اتصالاته مع قادة النقابة الأمريكية الكبرى وكبار المسؤولين في الحزب الديمقراطي الأمريكي الذين أعلنوا تأييدهم للمطالب الوطنية التونسية، من أجل إجراء نقاش حول القضية التونسية في الأمم المتحدة.

في صباح يوم 5 دجنبر 1952، اغتيل فرحات حشاد . وتقع مسؤولية هذا الاغتيال، الذي ظل دون عقاب، على أعلى مستويات الإدارة المدنية والعسكرية الفرنسية. هز مقتل الشخصية الأكثر شعبية لدى الجماهير التونسية البلاد بعمق. في الأسابيع التي تلت ذلك، دخلت مجموعات مسلحة في قتال في جنوب البلاد. كان ذلك بداية المرحلة الأخيرة من المعركة التي لم تتوقف إلا بعد الاستقلال.

ترجمة المناضل-ة

المصدر :

https://maitron.fr/hached-farhat/, notice HACHED Farhat par Juliette Bessis, version mise en ligne le 30 avril 2022, dernière modification le 19 juin 2024.

أحداث الدار البيضاء يومي 7 و 8 ديسمبر 1952

بقلم؛ ألبير عياش

فيما يلي القسم الوارد، عن أحداث 7 و 8 ديسمبر 1952، في الجزء الأخير من ثلاثية البير عياش عن تاريخ الحركة النقابية بالمغرب. ترجمة المناضل-ة قبل صدور الترجمة الكاملة للكتاب .

صورة حشاد بعد إغتياله.

اغتيال فرحات حشاد. قرار الإضراب

بلغ إلى الدار البيضاء، بعد زوال يوم الجمعة 5 ديسمبر 1952 ، نبأ اغتيال النقابي التونسي و زعيم الحركة النقابية بشمال أفريقيا، فرحات حشاد، الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل.

ويوم 6 ديسمبر، كان مسؤولون استقلاليون من الاتحاد العام للنقابات الموحدة بالمغرب، الطيب بوعزة، والمحجوب بن الصديق [1]، ومحمد التباري، وصلاح المسكيني، قرروا التعبير بإضراب عام من 24 ساعة عن تضامنهم مع العمال التونسيين وتمردهم ضد مساوئ النظام الاستعماري. كان الشعبان التونسي والمغربي، اللذين يحفزهما نفس التطلع إلى الاستقلال، هدفا لنفس التعديات ونفس الاهانات من جانب سلطات الاحتلال والطغمة الاستعمارية التي تخدمها. وقد تجلى بتلقائية تضامنهما خلال أحداث فبراير 1951، لصالح تونس بعد عمليات تمشيط رأس بون (مارس52).[2]

ولم يخبروا بالأمر رفاقهم الفرنسيين ممن جاوروا في مقرات دار النقابات، وصاغوا « نداء إلى كل العمال وكل شرائح الشعب المغربي» لشن إضراب حداد يوم الاثنين 8 ديسمبر. ونظموا لجان إضراب في المقاولات الكبرى ووجهوا نداء إلى خلاياهم لنشر شعاراتهم. وحمل مناضل شاب، عبد القادر أواب، النداء إلى عبد الرحيم بوعبيد بالرباط لنشره بجريدة «العلَم» في اليوم الموالي. وفي الآن ذاته، وبتبديل فريد للمواقع، جاء عضو من اللجنة الإدارية لحزب الاستقلال، عبد الله إبراهيم، من الرباط حاملا إلى النقابيين شعار إغلاق الحوانيت و التجارة الذي أطلقه الحزب في اليوم ذاته مساهما بذلك النحو على الصعيد الوطني في مظاهرة الاثنين 8.

وفي اليوم ذاته، 6 ديسمبر، ودون إشارة إلى وفاة فرحات حشاد، ندد الجنرال غيوم، في برقية كان أرسلها إلى كي دورسيه بـ»التحريض الذي يقوم به ويؤججه حزب الاستقلال بمناسبة دورة منظمة المتحدة». وأشار إلى التخوف الكبير لدى السكان الفرنسيين و «النخبة المغربية، لا سيما القادة التقليديين». وأشار إلى قلاقل لا يمكن اتقاؤها سوى بسياسة حازمة. لذلك قرر، بقصد ضمان النظام، «أن يبقي بونيفاص، الذي أحيل على التقاعد بتاريخ 29 نوفمبر، في وظائفه مؤقتا بصفة مكلف بمهمة». [3]

على هذا النحو ، أبقيت على حالها، وبرأسها المفكر والفاعل، «البطانة» التي قررت القضاء على الحركة الوطنية وإضفاء طابع جزائري على المغرب.

هذه بعض المقاطع من النداء المنشور بجريدة «العلَم» صباح يوم الأحد 7 ديسمبر:

« ان الطبقة العاملة وشعوب أفريقيا الشمالية في حداد عميق بسبب الاغتيال الفظيع والوحشي الذي تعرض له أخونا وزعيمنا فرحات حشاد... ان أخانا الفقيد معروف في العالم بصفته رمزا للحرية الوطنية والديمقراطية ولاجتماعية. لقد الاستعمار، باقترافه هذه الجريمة، وجهه الدنيء وبرز مرة أخرى بما هو عدو الحرية والتقدم والديمقراطية...». وبعد سرد انتهاكات الحرية و ما يعانيه عمال المغرب من أشكال ظلم خلص إلى: « إن الاتحاد العام للنقابات المغربية ، المعبر الأمين عن مشاعر الطبقة العاملة، يدعو كل العمال ومختلف شرائح الشعب المغربي لجعل يوم 8 ديسمبر 1952 يوم حداد وطني، ويدعو إلى يوم إضراب وطني 24 ساعة في هذا اليوم للاحتجاج على اغتيال المرحوم فرحات حشاد والمطالبة بتدخل منظمة الأمم المتحدة في الصراع بين الشعبين التونسي والمغربي من جهة و الحكومة الفرنسية من جهة أخرى، هذا الصراع الذي حوله الاستعمار إلى عدوان مسلح شرس ضد الشعوب العزلاء...

عاشت تونس، عاش المغرب ! عاش شمال أفريقيا المسلم!

وفي ليلة السبت 6 إلى الأحد 7 ، حسب ادعاءات الشرطة، دعت شعارات باللغة العربية على الجدران بالمدن العتيقة وأحياء القصدير، ومناشير الاتحاد العام للنقابات الموحدة بالمغرب إلى إضراب يوم الاثنين 8 والى اجتماعات يوم الأحد صباحا. وقد أُخبر عنها في القنيطرة والرباط وسلا واسفي والدار البيضاء.

المواجهات بالدار البيضاء

كانت الدار البيضاء، تلك المدينة الكبيرة، والمتروبول الاقتصادي، والمدينة الصناعية، المدينة المنار [4]. ثمة تتجابه القوى الحاملة للمطالب: البرجوازية التجارية، شعب الحوانيت والحرفيين، الجماهير العمالية والشعبية من المدن العتيقة وأحياء الصفيح، وقوى الاستغلال والقمع الاستعمارية: أرباب العمل الأوربيين الكبار، فئات متوسطة من صغار أرباب العمل والحرفيين و « بيض صغار» و رئيس المنطقة كلي القدرة، فيليب بونيفاس، مع مساعديه، من مراقبين مدنيين، وضباط الشؤون الأهلية، وأعوان المخزن، والقوات النظامية، عالم بكامله عازم على تحطيم كل تجل للوطنية المغربية. كانت الدار البيضاء تحدد الحياة السياسة للبلد، متخطية في ذلك العاصمة الرباط بكثير.

اجتمع صبيحة يوم الأحد 7 ديسمبر، على الساعة العاشرة ونصف، 1500 إلى 2000 عامل بدار النقابات بشارع لاسال، المسمى حاليا شارع فرحات حشاد، ترأس الاجتماع بلعيد بن عبد الله، كاتب الاتحاد المحلي. وتناول الكلمة بالتتابع الطيب بوعزة الأمين العام، ومحمد التباري كاتب الاتحاد العام للنقابات المتحدة بالمغرب. ندد الاثنان بجريمة تونس، وأثنوا على الفقيد، ثم استعادوا الحجج المثارة بانتظام منذ المؤتمر السادس والتي تعني لمن يلفظها المتابعة القضائية، والسجن والنفي ان كان مغربيا، والطرد ان كان فرنسيا، أي اعتبار النظام الاستعماري مسؤولا عن كل الشرور التي يعاني منها العمال ووجوب محاربته. وبعد ذلك عرضت على الحاضرين التوصية التي تستعيد جوهر النص الذي نشرته «العلَم» والداعي إلى إضراب عام تضامنا وحدادا يوم الاثنين، وجرى التصويت عليها. و بقصد إضفاء شكل مختصر وقاطع عليها، يبدو انه لم يحتفظ منها سوى بالفقرتين الأخيرتين.

ويشهد متقاعدون فرنسيون، كانوا مجتمعين بإحدى قاعات البورصة، على أن كل شيء جرى في أكبر هدوء.

وعند الزوال عبر الحاضرون بلا صخب الأحياء الأوربية، والتحقوا بأزقتهم أو أحيائهم الصفيحية. وأتم مناضلون تشكيل لجان إضراب، في الميناء ، وفي المقاولات الكبرى بالساحل، وفي القواعد الأمريكية [5]. وكان العمل بالميناء يجري كالمعتاد حسب جريدة لافيجي ماروكين. لكن الوضع بكامله انقلب في المساء بكاريان سانطرال.

انفجار كاريان سانطرال

كان مصدر الأحداث المأساوية التي شهدتها الدار البيضاء ليلة 7 إلى 8 ديسمبر ونهار الاثنين 8 عزم رئيس المنطقة، بونفاس، تحطيم الحركة الوطنية الاحتجاجية. كان وجه الأمر لباشا المدينة لإعلام السكان المغاربة في المساء بأن أي إغلاق للحوانيت و أي عرقلة لحرية العمل ستكون عرضة لعقاب شديد، وأمر قوات شرطته بأن تعتقل صباحا خطباء الاتحاد العام للنقابات المتحدة الذين دعوا إلى الإضراب.

وفي بداية الليل انشر منادون عموميون، مرفقون بمخازنية، في الأحياء المغربية لإعلام السكان. لم يتردد هؤلاء، والتزموا في الغد، عبر الإضراب وإغلاق الحوانيت، بحدادهم.

لكن الأمور سارت على نحو آخر في كاريان سانطرال. لماذا؟ طبعا كان الوسط من طبيعة مغايرة.

كان هذا الحي الصفيحي، ذي 40000 ساكن، والقريب من الأحياء الصناعية للصخور السوداء، وعين السبع، ومحطة القطار، مسكنا لعمال المصانع وسكك الحديد مع أسرهم. كان وعيهم العمالي والوطني حادا جدا. تلقوا الأمر على نحو سيء، ونفذوه بقوة جعلت المنادين العموميين والمخازنية، وأعوان الباشا، المرعوبين، يتراجعون إلى مركز الشرطة، الواقع في طرف الحي الصفيحي، وسط مساحة طليقة، حابسين

بلا شك بعض المتظاهرين كما المعتاد. واجتاح حشد متعاظم الساحة. ويبدو أنه كانت ثمة فترة مفاوضات. ثم شرع رجال الشرطة يطلقون النار. ومن تلك اللحظة لم يتوقف تكثيف إطلاق الرصاص بقدر وصول تعزيزات على الساعة العاشرة ثم العاشرة ونصف، ليبلغ ذروة مع تدخل الكُوم، وهم وحدات مشاة مغربية جرى تكليفها علاوة على ذلك باعتقال المناضلين الذين تعرضت منازلهم، المرصودة منذ أمد بعيد، للتفتيش. إنها «مطاردة ساحرات» كشفها لنا مؤخرا مناضلون كانوا مهددين بها،والتي تؤكد على هذا النحو تلك الشهادات المدلى بها بعد أيام من الأحداث لمتقصي الدورية الفرنسية تيموانياج كريتيان [6]. عادوا من عملهم ليلا، فوجدوا أنفسهم وسط متظاهرين مطاردين بنيران الحرس المتحرك، وكان طريحون ممددين على الأرض، قتلى أو جرحى ؟ من يدري؟ وتشكلوا في فرق إنجاد. وكان أكثر من 80 جسما ممددا بمجسد سيدي عبد الرحمان الصغير.

وصباح يوم الاثنين 8، بعد هدوء أُستتب حوالي الساعة 2 ونصف، كان مجموع كاريان سانطرال مطوقا ومحاصرا بمصفحات حاملة رشاشات و فيالق قوات الأمن. تمكن عدد من المناضلين من العبور من عيون الشبكة. وفي الساعة التاسعة ونصف اشتعل كل شيء من جديد. ومن جديد ارتمت قوات الكُوم والحرس المتحرك في مطاردة المناضلين. وجرى إطلاق للنار زاد عدد الضحايا تضخيما. ولم تتعرض أي من الأسر الأوربية التي كانت تعيش في بعض أحياء المجمع الصفيحي وسط المغاربة لأي مضايقة.

جنازات الضحايا المغاربة وإطلاق الرصاص بقنطرة سوق الزروع [الرحبة]

في الساعة 11 وربع نظمت جنازة ضحايا المجزرة. انطلق الموكب من المجسد الصغير سيدي عبد الرحمان نحو مقبرة بن مسيك. وتعاظم الموكب بقدر تقدمه، وتعزز بوصول سكان أحياء صفيحية أخرى، ومن المدينة الجديدة ومن الدار البيضاء ذاتها. وهكذا استقل الحافلة عمال لم يتمكنوا من الاجتماع صباحا بدار النقابات، وتوجهوا مباشرة إلى المقبرة.

هذا لأن مسؤولي الاتحاد العام للنقابات الموحدة بالمغرب، الذين عرضوا للمصادقة قرار الإضراب في الأمس، كانوا قد اعتقلوا. كان أولهم الطيب بوعزة. ففي الفجر طوق منزله بالعديد من قوات الشرطة، واعتقله مفتش الاستعلامات العامة غارسيت، وفتش بيته، واقتيد ملفوف الرأس في قناع أسود إلى المفوضية [كوميسارية] المركزية بشارع تونس. ومن ثمة نقل إلى سجن القنيطرة، ووضع في زنزانة مظلمة لم يخرج منها إلا بعد شهرين ليلتقي بمعتقلين آخرين.

ثم كان دور التيباري وبلعيد عند وصولهم إلى دار النقابات. ولم ينجح رفاقهم في انتزاعهم من أيدي الشرطة. ولم ينعقد الجمع العام. لكن حُدد موعد على الساعة الثانية ونصف. و طلب المحجوب بن الصديق من اندريه ساليبريس، أمين مال الاتحاد العام و كاتب فيدرالية الموظفين، الذي كان بمكتبه، مبلغ مال بسيط بقصد إرسال برقيات احتجاج من أجل تنبيه الرأي العام بفرنسا وذهب مع رفاقه إلى بن مسيك.

تشكل، بعد انتهاء دفن الضحايا، موكب من آلاف المتظاهرين، وقاده مناضلون وقرر التوجه إلى بورصة العمل حيث سينعقد اجتماع للاحتجاج ضد اعتقالات الصباح وتعيين وفد للذهاب إلى المنطقة المدنية للحصول على إطلاق سراح المعتقلين.

ان المسار المتبع، الذي حاول متقصون مبعوثون من دورية تيموانياج كريتيان إعادة رسمه، يفاجئ بتعقيده الناتج ربما عن سعي إلى تشويش قوات الشرطة. سار المتظاهرون على طريق أولاد زيان ثم داروا فجأة يسارا، وسلكوا شارع ليوتنان مانفي، وأفضوا إلى طريق مديونة على مستوى قنطرة السكة الحديدية قرب سوق الزروع [الرحبة]. لكن قوات شرطة كثيرة كانت ترابط بالقنطرة، و أطلقت النار فوق رؤوس الموكب فور ظهوره « لكن دون خسائر» حسب جريدة لافيجي ماروكين. و تراجع الحشد المرعوب عائدا إلى شارع ليوتنان مانفي حيث تعرض 3 فرنسيين مارة للرجم والقتل.

ثم اتجه متظاهرون، جماعات صغيرة وعبر سبل مختلفة، إلى شارع لاسال حيث كان تقرر عقد اجتماع في الصباح. وأتاحت لهم فرق الشرطة المرابطة بمداخل المدينة الأوربية

المرور بلا صعوبة. وبالعكس أوقفت الشرطة، قرب دار النقابات، المناضلين الفرنسيين الذين اعتادوا الذهاب إلى قاعات أو مكاتب نقاباتهم وفيدرالياتهم، من بريديين أوسككيين أو موظفين أو كهربائيين. وحوالي الساعة الرابعة والنصف سيعاينون مشاهد تغيظهم.

« مصيدة» شارع لاسال

كان كل شيء معدا بدقة. بينما كان العمال المغاربة يدخلون إلى دار النقابات، على الساعة الثالثة، كان رئيس المنطقة يعقد ندوة صحفية. وكان عليه إعطاء تفسيرات حول الأحداث المأساوية التي عاشتها الدار البيضاء، والليلة الدامية بكاريان سانتطرال، وإطلاق النار بقنطرة «الرحبة»، و المصيدة التي فتحها للنقابيين و يستعد لإغلاقها. وكان عليه أيضا أن يحدد النبرة للصحافيين، صحافيي مجموعة ماس وصحافيي أرباب العمل الكبار، الذين وجد فيهم تابعين متسرعين، على استعداد دائم للإضافة إلى بيانات السلطة وأنبائها الكاذبة.

كان المطلوب إثارة رعب السكان الأوربيين وتهييجهم.

أقدم حسب قوله على إحباط «مؤامرة» حقيقية تستهدف اقتراف» مذبحة بين سكان الدار البيضاء الفرنسيين»... « تدفقت تعزيزات أمنية... لقد أصدرنا الأمر إلى القوات المسلحة باستعمال أسلحتها، بعد الإنذارات المعمول بها ... لقد ابلغنا المندوبين النقابيين قرار منع عقد اجتماع جديد بدار النقابات بعد زوال يوم الاثنين...» سنتصرف عند الاقتضاء بصرامة كبيرة، ستكون الدار البيضاء في مأمن..(...) « [7]

لم يكن أي مما قيل صحيحا. لم توجه الإنذارات المعمول بها لا في كاريان سانطرال ولا في قنطرة «الرحبة» ، ولم يمنع الاجتماع بالمقر النقابي الذي ظل عن قصد مفتوحا و متاحا للعمال المغاربة وحدهم. عزم رئيس المنطقة على استغلال الإحداث التي جرت والتي استثارها لتحقيق ما كانت سلطات الحماية تصبو إليه للقضاء على الحركة النقابية والأحزاب الوطنية التي تحركها، الحزب الشيوعي المغربي وحزب الاستقلال.

وعلى الساعة الرابعة أُغلقت «المصيدة المفتوحة». فقد أعطى فيليب بونيفاص إشارة الهجوم. كسرت سيارة ذات رشاش مدخل دار النقابات، و» بدأت عناصر الشرطة إخلاء المكان... وجرى ذلك بوتيرة جهنمية ... وبصرامة قصوى جعلت المرشحين للجريمة مقتادين خارج المقر... وفورا ارتفعت خناجر علامة على الهدوء ...» حسب جريدة لوبوتي ماروكان- بروغري ماروكان ليوم 9 ديسمبر. وقبض على المسؤولين النقابيين، منهم المحجوب بن الصديق عضو مكتب الاتحاد العام للنقابات المتحدة بالمغرب، ومحمد الشرقاوي، كاتب فيدرالية الموانئ و الشيالين، وزهاء مائة متظاهر، و أُجلسوا مقرفصين وأيديهم فوق رؤوسهم بجانب البورصة، واقتيد بعض العمال بعد تفتيشهم إلى مخارج المصيدة. كانوا خائفين. وفي شارع الطيران الفرنسي (قرب البورصة) خاصمهم سكان الحي الذين « قاموا، وصيحات «مجرمون» تتعالى، بإساءة معاملة بعضهم « (لافيجي ماروكين 9--12 1952).

الحقيقية أنهم هوجموا من طرف حشد تحركه هستيرية قاتلة [8]. هذا لأنه بينما كان

الاجتماع جاريا بالمقر النقابي، كانت تباع أعداد من جريدة لافيجي ماروكين، جريدة بعد الزوال التي صدرت للتو، وهي تدعي الأخبار بما جرى بكاريان سانطرال.

أعلنت الجريدة بالصفحة الأولى، بعنوان عريض، على ثمانية أعمدة:» فتنة جديدة بكاريان سانطرال هذا الصباح»، ثم تابعت على ثلاثة أعمدة بنفس الخط « اغتصاب أوربيين اثنين و ذبحهما»، وهو خبر جرى تكذيبه في الغد صباحا من طرف شريكها المتواطئ لوبوتي ماروكان- بروغري بأحرف صغيرة بأسفل الصفحة الثانية.

وصباح يوم 9 ديسمبر، طلعت ماروك بريس، يومية جاك والتير، رئيس الغرفة النقابية للمناجم بعنوان يغطي نصف الصفحة الأولى، كي لا يتفوق عليه المنافس في الهول: « أدت فتن الدار البيضاء التي أعدها متطرفون بمؤامرة حقيقية إلى قتلى وجرحى عديدين. تم قتل ثمانية أوربيين بوحشية نادرة». وهاجم متظاهرون مركز الشرطة بكاريان سانطرال وسقط 20 قتيلا. وبطريق مديونة اصطدم المتظاهرون بقوات الشرطة وسقط 10 قتلى. وحوصر 3000 مغربي بمقر النقابة، في قلب المدينة، «عزلا». وكي لا يبقى دينٌ على لافيجي ماروكين نزلت بعنوان:» استتب الهدوء بالدار البيضاء... حصيلة الفتن: 7 أوربيين مقتولين بوحشية وممزقين، وزهاء أربعين قتيلا بين أهل الفتنة، و500 معتقلين».

وتواصل ذلك طيلة ثلاثة أسابيع. كأن الصحافة الفرنسية بالمغرب أصابها جنون.

جنازات الأوربيين والقمع

جرت يوم الأربعاء 10 جنازة رسمية للأوربيين. كان ثمة أربعة توابيت بها جثامين الضحايا الثلاث بشارع ليوتنان مانوفي، وجثمان رابع لم «تكشف هويته توفي صاحبه في ظروف غير موضحة جيدا. وكان الحداد الذي «منع منه المغاربة يوم 8 ديسمبر رسميا هنا. وتعطلت الإدارات بعد زوال الأربعاء. وفي الصباح كانت جريدة لوبوتي ماروكان تهدد:» يجب أن يشارك الأوربيون في الجنازة». كان سيلا من الحقد. وتعالت صيحات الهزء بالنشيد الشريفي. ونال الجنرال غيوم التصفيقات بعد أن ندد» بمن يبث الحقد» ومن يشجعهم من خارج، من أعدائنا و مع الأسف من «أصدقائنا» أحيانا ، وُردد نشيد المارسييز.

وكانت جرائد 11 ديسمبر التي تعرض أحداث الأمس، تعلن حل الحزب الشيوعي المغربي وحزب الاستقلال و الاتحاد العام للنقابات المتحدة بالمغرب ومنع صحفها، و أولى حملات الشرطة على المناضلين، حملات تكاثرت فيما بعد. و أتهم كل المناضلين السياسيين والنقابيين المغاربة المعتقلين «بالتآمر والمس بسلامة أمن الدولة الداخلي والخارجي». وتعرض أغلب النقابيين والعمال المقبوض عليهم بعد إغلاق « المصيدة» للضرب والتعذيب بشناعة، قبل تسليمهم لعدالة البشوات والقياد السريعة أو للعدالة العسكرية.

وجرى طرد المناضلين الفرنسيين. غادروا في ثلاث جماعات متتالية أيام 12 و17 و30 ديسمبر 1952. اعتقلوا دون قرار من العدالة، وغالبا ما اختطفوا من مكان عملهم أو بمدخل بيوتهم دون إخبار أسرهم. كان منهم محامية شابة، أرملة حرب، «فصلت بقساوة عن أطفالها الثلاثة، ومعمر صغير، بيار بارون، معطوب حرب 14-18، مفاوض استسلام القائد الريفي عبد الكريم، وقائد جوقة الشرف، والمقاوم الذي ترأس جمعية قدماء المحاربين بأفريقيا الشمالية، وعضو أول جمعية استشارية، ثم نائب المغرب بأول جمعية تأسيسية بباريس.

اقتيدوا إلى مخافر الشرطة، وُجمعوا بمفوضية الشرطة المركزية حيث تمكنوا، في دورة ممر أو من فتحة باب، من رؤية رفاقهم المغاربة عراة، مضرجين بالدماء، متورمي الوجه، ثم وضعوا في عربات مساجين، مقيدي الأيدي كمجرمين مبتذلين، واقتيدوا إلى الرباط. و وضعوا،بعد عبور بمصلحة القياسة الاناسية ثم بثكنة للحرس المتنقل، في طائرات، و ألقوا في شوارع باريس. [9] كانت معاملات شائنة من أناس يبدو أنهم فقدوا حس الإنسانية والشرف.

عندما انكشفت حقيقة ظروف أحداث الدار البيضاء وطابعها، والتي انضافت إلى أحداث تونس، صعدت موجة استنكار كبيرة في فرنسا وفي الهيئات الدولية.

المصدر : البير عياش، الحركة النقابية بالمغرب

الجزء الثالث : نحو الاستقلال (1949-1956)

الصفحات 147 الى 156

ترجمة جريدة المناضل-ة

مؤلف ألبير عياش عن تاريخ الحركة النقابية بالمغرب، صدر منه معربا الجزآن الأول (1919-1942) [دار الخطابي للطباعة والنشر – 1988] ، والثاني(1943-1948) [منشورات مجلة امل – مطبعة النجاح الجديدة–1997] ، أما الجزء الثالث (1949-1956) فقد صدر سنة 2015 ضمن منشورات مجلة أمل .

إحالات:

[1]: كان المحجوب بن الصديق، الذي أفرج عنه وأعيد إلى عمله بسكك الحديد ونُقل إلى طنجة، عابرا بالدار البيضاء.

[2] في فبراير 1951 شنت النقابتان التونسيتان USTT و UGTT إضراب 24 ساعة احتجاجا على العنف الذي كان سلطان المغرب عرضة له.

[3] حسب شارل اندريه جوليان في كتابه المغرب في مواجهة الامبرياليات. لم يذكر المؤلف مصدره.

[4] كانت الدار البيضاء تجمعا من 20 ألف ساكن في مطلع القرن العشرين. أنشأها الاستعمار، وأصبحت بإرادة المارشال ليوطي أكبر جسم مينائي بالمغرب. كانت البيضاء عام 1952 أكبر مدن شمال أفريقيا من حيث عدد السكان والقوة الاقتصادية. كان بها زهاء 680 ألف ساكن، 130 ألف أوربي و 560 ألف مغربي، و75 ألف يهودي. هذه بعض الأرقام الكاشفة للاختلالات وما قد ينتج عنها من توترات بين الأعراق: مساحة مجال البلدية 1250 هكتار، اقل من عشرها يحوزه المغاربة الذين يمثلون 80 بالمائة من السكان، أي كثافة متوسطة تبلغ 1100 شخص بالهكتار، بينما يحوز الأوربيون 90 بالمائة الباقية، أي بكثافة 100 شخص بالهكتار.

[5]: أفان غارد ، جريدة الاتحاد المغربي للشغل ليوم 13-12-1980. « ذكريات مناضلين حول أيام ديسمبر».

[6]: تيموانياج كريتيان. باريس 10 ابريل 1953، مقتطفات بكتاب بارات ، العدالة للمغرب دار نشر سوي.1953 صفحة 238 وما يليها، ورواية المناضل بسكك الحديد بدري المعطي للمؤلف. ولد بدري المعطي بخريبكة عن اب مزارع وتابع بالدار البيضاء، بعد المدرسة الابتدائية، الدروس بالمدرسة الصناعية (1941-1944) وحصل على شهادة الكفاءة المهنية كخراط. اشتغل بالقاعدة الجوية بخريبكة وطرد بعد ستة أشهر بسبب محاولته إنشاء فرع نقابي. دخل إلى مؤسسة سكك حديد المغرب حيث أنجز كامل مساره المهني. سجن بعد أحداث 1952. كان كاتبا لفيدرالية السكك في الاتحاد المغربي للشغل.

[7]:بوتي ماروكان- بروغري ليو 10 ديسمبر 1952. تصريح فيليب بونيفاس للصحافة.

[8]:شهادة ج-ب ميلو ، منغال ميشال، ، اندريه ساليبرس والسيدة هـ عياش.

[9]: المطرودون من المغرب:

أ) روبير غارسيا، ميشال مازيلا،جورج لويس،دوني سانتوس،شارل دوبويي،اندريه السرفاتي، لوران بريس دافينس، جورج فرنان، رايمون لاغرانج، انطون مارتنيز، لويس فيفس.

ب) ألبير عياش، بول دوتويت،بيار بارون، فنسان فيليزولا،فورتيني سلطان، سافاستا فرانسوا، راميس كليومنت،ايفون لوب.

ج)هنري برودوم،ميشال منغال، هنري لافاي،لوسيان لاموت،ايفلين السرفاتي، ارنست كازورلا،جورج لونجان،روبير دوايان،ميشال كولونا،جورج فيرير،رونيه مارشال،لانوكس جاك،صبان افرائيم، سماما رافائيل.

المهن: 11 عامل بسكك الحديد، 7 مدرسين من 34 أي 53 بالمائة

الاقامة: 17 بالدار البيضاء، 7 بمكناس من 34 أي 70 بالمائة

وثيقة الحزب الشيوعي المغربي بصدد أحداث 7 و 8 ديسمبر 1952

ترجمة : جريدة المناضل-ة

عمليات إطلاق النار في الدار البيضاء (1)

يحتج الحزب الشيوعي المغربي بشدة على عمليات إطلاق النار الدموية التي وقعت يومي الأحد 7 والاثنين 8 ديسمبر في الدار البيضاء، وأسفرت عن عدد ضحايا كبير لدرجة أنه لم يتم حصرهم بعد، ووفقاً لإحصاء رسمي بعيد كل البعد عن الواقع، فقد بلغ عدد القتلى 60 شخصاً من الجانب المغربي.

يحيي الحزب الشيوعي المغربي بخشوع ذكرى الوطنيين الذين سقطوا برصاص الشرطة.

قوات القمع النار أطلقت على حشد غير مسلح:

يؤكد الحزب الشيوعي المغربي أن قوات القمع هي التي أطلقت النار أولاً، مرة أخرى، على الحشد غير المسلح.

في حي كاريان سنترال، الحي العمالي في الأساس، أطلقت الشرطة النار في ليلة الأحد إلى الاثنين على الوطنيين الذين كانوا يعبرون عن سخطهم على مرور المنادين العموميين الذين أرسلتهم الإدارة العليا ليهددوا بالانتقام من كل الذين يستجيبون للنداء إلى الإضراب المعلن ليوم الاثنين.

وفي ما بدا وكأنه مذبحة منظمة، بلغ عدد الضحايا من سكان كاريان سنترال الكادحين أكثر من 130 قتيلاً في مسجد واحد في هذا الحي.

يوم الاثنين حوالي الساعة 13:00، عند جسر طريق ميديونة، في مخرج المدينة الجديدة، أطلقت الشرطة النار من مسافة قريبة على جنازة ضمت عدة آلاف من الوطنيين، كانوا يرافقون جثامين أربعة ضحايا إطلاق النار إلى المقبرة.

الرقم المعترف به رسمياً، ولكنه أقل بكثير من الواقع، هو عشرون قتيلاً. ولتغطية هذه الجريمة التي ارتكبت بدم بارد، كذبت الصحافة الاستعمارية بشكل بغيض، مدعية أن الموكب كان سيهاجم المدينة الأوروبية.

مدرعات ضد بورصة العمل:

في فترة ما بعد ظهر يوم الاثنين، في وسط الدار البيضاء، حاصرت قوات كبيرة من الشرطة والجيش، بما في ذلك مدرعات، دار النقابات، حيث كان 3500 عامل مجتمعين لبحث نتائج الإضراب والوضع الذي نشأ عن اعتقال طيب بوعزة، الأمين العام للاتحاد العام للنقابات المتحدة المغربية. وسرعان ما اقتحمت الشرطة القاعة، لتنهال بالضرب بأعقاب البنادق الرشاشة على الشغيلة الذين كانوا مجتمعين فيها .

وعومل الشغيلة معاملة المجرمين، وطردوا واحداً تلو الآخر بوحشية ووضعوا في سيارات الشرطة.

ثم وقع الاعتداء الذي لا يوصف من قبل مجموعات من المستعمرين المتعصبين الذين، هاجموا، بخسة تحت حماية الشرطة، الشغيلة الذين لم يتمكنوا بالطبع في مثل هكذا حالة من الدفاع عن أنفسهم.

وأسفرت هذه العملية البغيضة عن اعتقال 300 شخص، من بينهم قادة الحركة النقابية الرئيسيون.

أكاذيب الصحافة الاستعمارية:

يكفي عرض الحقائق ليتضح جلياً على كاهل من تقع مسؤوليات هذه الأحداث الدموية.

إن ابتزاز الصحافة الاستعمارية الدنيء الذي يحاول إخفاء مذبحة الأبرياء بالتظاهر باستنكار زائف لمقتل ستة مدنيين أوروبيين، ومحاولة إلقاء المسؤولية على الوطنيين المغاربة، لا يمكن أن يخدع أحداً. لم تكن المظاهرات موجهة بأي وجه ضد السكان الأوروبيين. لم يفعل الوطنيون المغاربة، في حالة دفاع عن النفس، سوى الرد على العدوان المسلح لقوات القمع. إن وفاة هؤلاء الأشخاص الأوروبيين الستة - ثلاثة منهم لم يتم التعرف على هويتهم بعد، وهو ما تسارع الصحافة إلى الإبلاغ عنه، كما أعلنت أن نساء أوروبيات تعرضن للاغتصاب، لتضطر بعد ذلك إلى نفي الأمر - واقعة معزولة تماما في ظروف لا تزال غير محددة ولا يمكن بعد استخلاص أي

استنتاج منها.

نجاح باهر للإضراب الوطني
على الرغم من الإرهاب

يؤكد الحزب الشيوعي المغربي أن الإمبرياليين الفرنسيين أرادوا، من خلال عمليات اطلاق النار هذه، منع الشعب المغربي من التعبير عن تضامنه مع الشعب التونسي الشقيق وفي الوقت نفسه عن إرادته الراسخة لاستعادة استقلاله.

لكن النجاح الباهر للإضراب الوطني يوم الاثنين، الذي تحقق على الرغم من الإرهاب الذي مارسته الشرطة، يظهر أن الشعب المغربي يقف إلى جانب الشعب التونسي، وأن نضالهما مشترك، وأن الوطنيين التونسيين والمغاربة يتكاتفون للمطالبة بمعاقبة المستعمرين قتلة فرحات حشاد.

الشعب المغربي سيحقق
النصر لقضيته العادلة:

يدين الحزب الشيوعي المغربي المؤامرة الإمبريالية الموجهة ضد حياة الشعب المغربي ومستقبله. يسعى الإمبرياليون الفرنسيون، المذعورون لافتضاحهم أمام الرأي العام الدولي، لا سيما بعد إدراج القضية المغربية في جدول أعمال الأمم المتحدة، وعجزهم عن وقف الصعود الحتمي للحركة الوطنية المغربية، إلى تحويل المغرب إلى تونس جديدة من خلال القتل المنظم للسكان الأبرياء. ولكي يتصرفوا بحرية، يزيدون حدة القمع الشديد الذي يسود البلاد إلى أقصى حد. بعد أن زجوا بعلي يعته في السجن، اعتقلوا للتو قادة الحركة الوطنية، مثل سي بوشتى الجامعي، والأمين العام لاتحاد النقابات المغربية المتحدة، الطيب بوعزة، وعشرات آخرين من مسؤولي المنظمات النقابية.

مع توقيف "إسبوار"، جريدة الحزب الشيوعي المغربي المركزية باللغة الفرنسية، منذ 10 نوفمبر، و»العلم»، الجريدة اليومية للحزب الاستقلال باللغة العربية، و"الاستقلال" الأسبوعية باللغة الفرنسية لنفس الحزب، ورسالة المغرب، المجلة بالعربية، و»الرأي العام»، الصحيفة المركزية لحزب الشورى والاستقلال، في نفس يوم عمليات إطلاق النار، تكون الصحافة الوطنية بأكملها قد قُمعت. يأمل الإمبرياليون الفرنسيون بهذه الطريقة أن يفسحوا المجال للصحافة الاستعمارية التي تدعو إلى ذبح الشعب المغربي وتحاول في الآن ذاته، من خلال حملة كريهة مليئة بالأكاذيب الإجرامية، إقناع الرأي العام الدولي بأن الحركة الوطنية المغربية حركة عنصرية ومعادية للأجانب.

لكن الشعب المغربي، على غرار الشعب التونسي، مقتنع تماماً بعدالة قضيته، ولن يتراجع أمام أي شكل من أشكال العنف. يطالب الشعب المغربي بالإجماع بالإفراج الفوري عن جميع الوطنيين المسجونين، ووضع حد لرعب الشرطة، ومنح الحريات الديمقراطية والنقابية. وهو يطالب بتشكيل حكومة مغربية مكلفة بالتفاوض مع الحكومة الفرنسية لإلغاء معاهدة الحماية وإجراء انتخابات لجمعية ديمقراطية. ويطالب الشعب بمعاقبة المسؤولين عن إطلاق النار في الدار البيضاء.

وبفضل التضامن الفعال من قبل الإنسانية التقدمية، سينتصر الشعب المغربي في قضيته العادلة.

المصدر: Le parti communiste marocain dans le combat pour l indépendance nationale . Textes et document (1949-1958)

Paris Provence Impression P . 85 à 87